الرد على نقض عصمة الأنبياء

الحمد لله باعث الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، فعلموا أممهم شرائع ربهم، ودعوهم إلى عبادته ووحدانيته، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، الحمد لله ناهج السبل، الذي هدانا للإسلام، وشرفنا بملة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه القرآن هادياً للناس بشيراً ونذيراً.

أما بعـــد

يخرج علينا كل يوم لا أقول في بلاد الكافرين ولكن في بلاد المسلمين، أُناس ممن ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، ويحملون أسماء المسلمين وقلوب الكافرين المنافقين الجاحدين على هذا الدين. ينقضون الثوابت ويهدمون القمم والأصول،

نقضوا عصمة الأنبياء ، وسبوا الصحابة الأتقياء، وأنكروا المعلوم من الدين بالضرورة. فاستهزؤوا بآيات الله عز وجل وحاربوا سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم أين كبار العلماء والمشايخ والفضلاء للرد على هؤلاء؟ فلم نحس منهم من أحدٍ أو نسمع لهم ركزاً.

فهذا يخرج علينا في برنامج له وسط بنات عاريات، يهاجم أمهات المؤمنين وينسب لهن المؤامرات ضد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وأن المدينة المنورة كان بها تحرش جنسي، ويسقط عصمة الأنبياء ويقول في النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليه السلام قولاً إداً، بأنه كان على السرير مع امرأة العزيز.

ومجرم آخر يزعم أن أحد الرؤساء أفضل من أنبياء بني إسرائيل مثل موسى وداود، اللذين ارتكبوا المذابح ضد الفلسطينيين باعترافهم في كتبهم ، وأنه أيضاً أفضل من الصحابة عمرو بن العاص وسعد بن معاذ اللذين ارتكبوا مذابح جماعية.

والكثير الكثير كل يوم نسمع ونقرأ سب ولعن وهدم لمعتقداتنا وديننا، حتى فاض الكيل، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم السلام:

إن من أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام، وعدم القدح فيهم أو نقض عصمتهم، بل هي من عقيدة اليهود المجرمين قتلة الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى) :آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(البَقرة: 285.

وأن الله عزّ وجلّ فضلّ بعض الرسل على بعض، وخصّ بعضهم بخصائص لم توجد في غيرهم ورفع رتبة بعضهم فوق رتبة الآخرين من الرسل قال وتعالى} :تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ{ البقرة: 253.

وأنهم اصطفاء واختيار من الله تبارك وتعالى لأفضل خلقه وصفوة عباده، فيختارهم الله لحمل الرسالة ويصطفيهم من بين سائر البشر قال تعالى} :اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ{ الحج: 75.

وقال تعالى} :إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ{ آل عمران: 33.

وقال تعالى} :وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ}ص: 47

حقوق الرسول والأنبياء على العباد:

حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله من المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلة عنده، وما شرفهم به من المهمات النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

1- تصديقهم جميعًا فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك. قال تعالى} :وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}النساء: 64. وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ{ المائدة: 92 . وقال عز وجل} :إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ

أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا - أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا{ النساء: 151،051 . فيجب تصديق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

وقد فرض الله سبحانه وتعالى على البشر إطاعة الأنبياء بصورة مطلقة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾النساء: 64

ومما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحد من الرسل السابقين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث للناس كافة، إذْ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى} :وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ من الخاسرين{ آل عمران:58 .

2ـ موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

قال تعالى} :وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ{ المائدة: 56 . وقال تعالى} :وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ{ التوبة: 71 . فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم لبعض فدخل في ذلك رسل الله الذين هم أكمل المؤمنين إيمانًا وعليه فإن موالاتهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعة درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء. فقال عز من قائل} :مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ{ البقرة: 98 .

3 - اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل. قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}الحج: 75 . وقال تعالى: }وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ{ الأنعام: 83 . إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والمرسلين: }وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ { الأنعام: 86 .

كما دلت السنة النبوية أيضًا على أن منزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: »لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى« رواه الشيخان وفي رواية للبخاري: »من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب« . قال بعض شراح الحديث: " إنه صلى الله عليه وسلم قال هذا زجرًا أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وسلم من أجل ما في القرآن العزيز من قصته ".وبيّن العلماء: " أن ما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصته في القرآن الكريم كقوله تعالى} :وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ - فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ{ الأنبياء: 78، 88 .

وقوله تعالى} :وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{ الصافات:931-841

4- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى عن نوح: }وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ - سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}الصافات: 87، .79 وقال عن إبراهيم: }وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ -سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ{ الصافات: 801، 109 . وقال عن موسى وهارون: } وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ - سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ{ الصافات:911، 120 .

وقال تعالى} :وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ{ الصافات: 181 .

قال ابن كثير: " قوله تعالى }سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ{ الصافات: 79 . مفسرًا لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف ". وقد نقل الإمام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها.قال: " أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء ".

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلت عليه النصوص وقرره أهل العلم.

5ـ الاعتقاد بعصمة الأنبياء من الذنوب والمعاصي وعدم إلحاق الذنوب بجانبهم

والعصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام: الامتساك بالشيء.
والمراد بالعصمة هنا حفظ الله لأنبيائه من الذنوب والمعاصي.

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة؛ فإن النبي هو المنبئ عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة؛ فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين...".

عبّر القرآن الكريم عن بعض الأفراد بـ (المخلَص) ، حيث لا يطمع في إغوائهم حتى الشيطان، ومن هنا أقسم الشيطان على إغواء بني آدم جميعهم وأستثنى المخلصين قال تعالى:﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ص: 28-38

ولا شك في أن السبب في يأس الشيطان من إغوائهم إنما هو، ما يملكونه من تنزيه وصيانة من الضلال والآثام، وإلا فإن عداءه شامل حتى لهؤلاء، ولو كان يمكنه إغواؤهم لما تخلى عن إغوائهم وأعرض عنهم. إذن (المخلص) مساوي (المعصوم)، وأنه وإن لم يوجد دليل على اختصاص هذه الصفة بالأنبياء إلا أنه لا يمكن الشك في شمولها لهم.

وقد اعتبر القرآن الكريم بعض الأنبياء من المخلصين

قال تعالى :﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ص: 45 ـ 46

وقال تعالى :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: 51

وكذلك اعتبر السبب في تنزه يوسف عليه السلام عن الإنحراف في أشد الظروف هو أنه كان مخلصا قال تعالى:
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف:42

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة؛ فللناس فيه نزاع:

فقال بعضهم بعصمتهم منها مطلقا كبائرها وصغائرها؛ لأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها ومخالفة الله تعالى عمدا، ولأننا أمرنا بالتأسي بهم، وذلك لا يجوز مع وقوع المعصية في أفعالهم؛ لأن الأمر بالاقتداء بهم يلزم منه أن تكون أفعالهم كلها طاعة، وتأولوا الآيات والأحاديث الواردة بإثبات شيء من ذلك.
وقال الجمهور بجواز وقوع الصغائر منهم بدليل ما ورد في القرآن والأخبار، لكنهم لا يصرون عليها، فيتوبون منها ويرجعون عنها، فيكونون معصومين من الإصرار عليها، ويكون الاقتداء بهم في التوبة منها.

هذا. والله أعلى وأعلم

وللحديث بقية

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر
تاريخ النشر : 09/08/2014
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com